مدن الحجاز

ليس لدينا من المستندات العلمية ما يكشف عن تاريخ الحجاز في العصور القديمة ، وذلك بسبب:

١- الغموض الذي يكتنف عزلته.

٢- وبعده عن الاحداث العالمية المجاورة.

٣- وعدم احتكاكه بالدول والممالك المجاورة له.

وقد ساهمت العوامل الجغرافية في عزل الحجاز عن الدول المجاورة ، وتمثل ذلك بوعورة مسالكه ، وقسوة مناخه ، وجفاف اقليمه ، وجذب اراضيه ، ولتوسطه الصحاري المقفرة ، ولم يؤدي ذلك الى العزل فحسب بل جعله بعيدا عن الصراعات العالمية آنذاك ، الا انه امتاز على الصعيد الديني والاقتصادي واثر ذلك في تكوين حياة اجتماعية وسياسية خاصة بين القبائل العربية التي استقرت في اهم مدنه.

ويمكن ان نقسم سكان الحجاز الى فئتين هما:

١- **عرب مستقرون:** وهم اهل المدن الذين تحضروا وبنوا المساكن من الحجارة والطين فسموا باهل **(المدر)** .

٢- **عرب رحل:** وهم اهل البوادي امتازت حياتهم بالتنقل والترحال ، واعتمدوا على الغزو والرعي ، وكانت بيوتهم عبارة عن خيام مصنوعة من الوبر فسموا باهل **(الوبر)** وهذه البيوت يسهل حملها ونقلها من مكان لآخر لان طبيعتهم قائمة على الترحال والتنقل للبحث عن الماء والكلأ لهم ولأنعامهم .

وقد ظهرت في الحجاز عدد من المدن التي كان لها شان في تاريخ العرب قبل مبعث الرسول محمد ﷺ ، وكان من ابرزها ((مكة المكرمة)) .

مكة المكرمة:

أصل واشتقاق اسم مكة:

اختلف الاخباريون في اصل التسمية ومن هذه التسميات:

١- سميت مكة لأنها تمكن الجبارين

٢- سميت مكة لازدحام الناس بها ، لان الاقدام تبك بعضها بعضا .

٣- سميت مكة لان العرب في الجاهلية كانت تقول لا يتم حجنا حتى نأتي الكعبة فنمك فيه – اي يصفرون صفير المكاء حول الكعبة – والمكاء طائر يأوي الرياض .

٤- سميت مكة لأنها بين جبلين مرتفعين عليها وهي هبطة بمنزلة المكوك .

٥- سميت مكة لقلة مائها لانهم كانوا يمتلكون الماء –اي يستخرجونه– .

٦- يقال انها تمك الذنوب اي تذهب بها .

٧- نسبة الى (مكا) وهي كلمة بابلية تعني البيت العتيق وهو اسم الكعبة عند العرب وهذا يدل على قدم هذه المدينة .

٨- قسم يرى ان اصل مكة مشتق من مكرب او مقرب وهو اللقب الذي يحمله كهنة سبا قبل ان يتحولوا الى ملوك وتعني المقرب الى الله وذلك بصفتها مدينة مقدسة .

ورد ذكر مكة المكرمة في القرآن الكريم بألفاظ مختلفة منها:

١- **مكة** ، قال الله تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا۞}** [سورة الفتح: الآية: ٢٤].

٢- **بكة** ،قال الله تعالى:**{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ۞}** [سورة آل عمران: الآية: ٩٦] .

٣- **ام القرى** ، قال الله تعالى: **{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ۞}** [سورة الأنعام: الآية: ٩٢] ؛ وقال الله تعالى: **{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ۞}** [سورة الشورى: الآية: ٧].

٤- **البيت العتيق** ، قال الله تعالى: **{ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ۞}** [سورة الحج: الآيات: ٣٢ – ٣٣].

٥- **البيت الحرام** ، قال الله تعالى: **{جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞}** [سورة المائدة: الآية: ٩٧] .

٦- **الكعبة** ، قال الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۞}** [سورة المائدة: الآية: ٩٥] .

٧- **البلد الامين** ، قال الله تعالى: **{وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ۞}** [سورة التين: الآية: ٣] .

٨- القريتين ، قال الله تعالى: **{وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ۞}** [سورة الزخرف: الآية: ٣١] .

الوصف العام لجغرافية مكة المكرمة:

تقع مكة المكرمة في بطن وادي يعرف ببطن مكة ، وهذا الوادي غير ذي زرع ، ويشرف على وادي مكة الجبال من جميع جهاتها ومن اهم تلك الجبال جبل ابي قبيس وجبل قيقعان ، اما مناخ مكة المكرمة يوصف بانه قاري حار جدا في فصل الصيف ، وقليل الامطار في فصل الشتاء واحيانا لا تسقط لسنوات متعاقبة ، وقلة الامطار لا يكفي للزراعة واكتفوا بعمل السدود لسد حاجتهم من المياه بالإضافة الى اعتمادهم على الابار ، لذلك كانت منطقة غير زراعية مما جعلها تعتمد على جلب المواد الزراعية من المناطق الاخرى كالطائف واليمامة وبلاد الشام .

سكان مكة المكرمة:

اشارت كتب الباحثين الى عدد من اسماء القبائل التي سكنت مكة المكرمة وتولت زعامتها ، ويمكن ان نشير الى كل قبيلة حسب قدم وجودها في مكة المكرمة:

١- العماليق

٢- قبيلة جرهم (وهم فرقة من العرب القحطانيين نزحوا من اليمن ونزلوا الى جانب نبي الله اسماعيل عليه السلام وامه هاجر -عليها السلام-) وكان اول امرهم عندما جاءوا بقافلتين من الشام وعندما شاهدوا الطيور على الماء وكانوا عهدوا ذلك المكان ليس فيه ماء زمزم ، فلما جاءوا وجدوا نبي الله اسماعيل عليه السلام وكان حينها طفل مع امه هاجر -عليها السلام- فطلبوا منها الاذن بالنزول معهم عند الماء فأذنت لهم فارسلوا الى اهلهم قومهم يستقدموهم فسكنوا الى جوار نبي الله اسماعيل عليه السلام وامه هاجر -عليها السلام- ، وعندما نشأ وكبر نبي الله اسماعيل عليه السلام تزوج من جرهم وصار له ذرية منهم قبيلة قريش التي جاء منها النبي محمد ﷺ .

٣- بنو اسماعيل عليه السلام تكاثروا (بعد ان سكنت معهم قبيلة جرهم التي تزوج منها نبي الله اسماعيل عليه السلام) .

٤- قبيلة الأزد (جاءوا بعد سيل العرم).

٥- قبيلة خزاعة

٦- بنو كنانة (وهم فرقة من العرب العدنانيين).

٧- قريش

فكانت هذه القبائل والبطون تتوالى على زعامة مكة المكرمة وتتعاون وتتنزل الواحدة على اثر الاخرى حتى تغلب عليها وتحالفها .

وتشير الاخبار الى ان قصي بن كلاب لما تمت له الغلبة على مكة المكرمة قسم قريش الى ارباع بين قومه ، وقد صنف قريش الى صنفين:

١-**قريش البطاح:** وهم الذين انزلهم قصي بن كلاب ببطحاء مكة المكرمة -اي داخلها- وهم: (بنو عبد المناف ، وعبد الدار ، وعبد العزى ، وزهرة ، ومخزوم ، وتيم مرة ، وجمح ، وسهم ، وعدي ، وعقيل بن عامر).

٢- **قريش الظواهر:** فهم الذين انزلهم قصي بن كلاب في ظاهر مكة المكرمة على المرتفعات وفيما حولها ، وهم: (بنو محارب ، والحارث بن فهر ، وبنو الادرم بن غالب بن فهر ، وبنو هصيص بن عامر بن لؤي .

وقد سكن الى جانبهم جماعات من العرب تحالفوا مع قريش اذ تولى هذا الحلف عبد مناف بن قصي ، اذ جاءته خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناف بن كنانة ، فعقد بينهم الحلف الذي عرف بحلف الاحابيش نسبة الى وادي حبشي الذي يقع على ستة اميال من اسفل مكة المكرمة فسموا به.

الحياة الاقتصادية في مكة المكرمة:

كان لموقع مكة المكرمة الاستراتيجي اهمية في التقاء ومرور طرق التجارة فيها ، وان السبب في ازدهار طريق التجارة في مكة المكرمة يعود الى:

١- سقوط الدولة الحميرية في اليمن بيد الاحباش .

٢- قيام الاضطرابات بين الفرس والروم في القرن الخامس الميلادي ادى الى اضطراب طريق التجارة المار بالعراق .

لذلك ادت الاسباب السابقة الذكر الى ازدياد الاهمية التجارية لمكة المكرمة ، وقد ساهم اهل مكة المكرمة في النشاط التجاري ، وكذلك عملوا ضمانات مع القبائل والممالك والدول المجاورة والتي تمر بها طرق التجارة ، وقد عرفت هذه الضمانات بالإيلاف ؛ وكان اول من عمل بالإيلاف هشام بن عبد المناف بن قصي بن كلاب ، فكان ارسل كتاب الى قيصر ملك الروم يؤمن فيه قريشا وتجارتها ، وكذلك عمل على العديد من الإيلافات فكان كلما مر بحي

من احياء العرب بطريق تجارة الشام أخذ من اشرافها إيلافا بالأمان عندهم وفي ارضهم بغير حلف .

وقد سنت قريش استنادا الى الايلاف رحلتي الشتاء والصيف ، ففي الصيف تتوجه بتجارتها الى الشام ، اما في الشتاء فتتوجه الى العراق واليمن والحبشة .

ومن الامور التي عملتها قريش في تنظيم التجارة فرض الاتاوات على:

١- التجار الاجانب الوافدين الى مكة المكرمة.
٢- والتجار غير المرتبطين معها بروابط التحالف اذ فرضوا عليهم ضريبة البشر .

وقد تعامل اهل قريش بالعملات التي كانت سائدة في مكة والحجاز ، فمن هذه العملات:

١- الدينار: لفظة مشتق من الكلمة اللاتينية (دينايوس) .
٢- الدرهم: مشتق من كلمة الدراخمة اليونانية .

التنظيمات الادارية في مكة المكرمة:

ينسب الاخباريون بدايات التنظيم الاداري لمكة المكرمة الى قصي بن كلاب ، وذلك بعدما ابتنى لنفسه دارا وجعل بابها الى الكعبة ، وجعل منها مجلس شورى لقريش وسماها (دار الندوة) لان القوم اذا حز بهم أمر ندوا اليها ، وكان لايدخلها الا من بلغ اربعون سنة الا اذا كان من سلالة قصي بن كلاب وكانت في هذه الدار تعقد عدة امور منها:

١- يعقد فيها لواء الحرب اذا اقدمت قريش على الحرب .
٢- وفيها يتم تجهيز القوافل التجارية التي تستعد للرحيل ، وفي فنائها تحط عند بالبضائع.
٣- وفيها يعذرون غلمانهم ويختتون .

وهكذا كانت دار الندوة بمثابة دار مشورة ودار حكمة في آن واحد.

ومن الامور التنظيمية الاخرى التي نظمها قصي بن كلاب ما يعرف بوظائف الكعبة وحدد مدلولاتها ، فمن هذه الوظائف:

١- **السقاية:** وهي جمع الماء من ابار مكة المكرمة المختلفة ، وحمله على الابل المزواد والقرب وسكبه في حياض من ادم (جلود) توضع في فناء الكعبة فيرده الجاج ويستسقون منه.

٢- **الرفادة:** وهو تقديم الطعام لغير القادرين من الحجاج ، ويقول الطبري: الرفادة هي خرج تخرجه قريش في كل موسم من اموالها الى قصي بن كلاب ، فيضع به طعاما للحاج يأكله من لم تكن له سعة ولا زاد ممن يحضر موسم الحج .

٣- **الحجابة:** وظيفة تكون لشخص بيده مفاتيح الكعبة ، وهو الذي يأذن للناس بدخول الكعبة ولا تقام شعائر دينية الا بأذنه ، وقد أخذها قصي بن كلاب من خزاعة وسلمها بيده لابنه عبد الدار ومن بعده لأبنائه .

٤- **اللواء:** وهو الدعوة الى الحرب برفع الراية فوق الرمح ويتبعها قادة الجيوش ، وهذه الوظيفة ليس لها صبغة دينية ، بل تتعلق بشؤون الحرب فقط ، وفي العادة يقاتل افراد القبيلة عن الراية حتى الموت.

يثرب:

تاريخها وأصل تسميتها:

وهي احدى مدن الحجاز المهمة ، وان اقدم نص يشير اليها هو نص الملك البابلي (نبونيد) الذي اشار فيه الى صلات العرب بالبابليين ، كما ذكرها بطليموس في كتابه باسم (يثربه) (Yathripa) ، كما ورد ذكرها في كتابات الدولة المعينية .

اما عند الاخباريين العرب سموها يثرب نسبه الى أول من سكنها يثرب بن قانية بن مهلائيل بن أرم بن عبيل بن عوض بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام .

ويلاحظ ان اسم (المدينة) قد غلب على يثرب بعد هجرة الرسول محمد ﷺ اليها ، وهنا يذكر السهيلي في كتابه (الروض الانف) ان الرسول محمد ﷺ حين هاجر الى يثرب كره ان تسمى باسم يثرب لما فيه من لفظ التثريب وسماها طيبة والمدينة ، وان المدينة كانت مكونة من عدة مجموعات سكنية كل منها بمثابة قرية مستقلة من اشهر قراها قرية (قبا) في جنوب المدينة المنورة ، وقرة (زهرة) في شرق المدينة المنورة وقريتا (زبالة وارتج) في شمال المدينة المنورة ، وقرية (يثرب) في الجنوب الغربي من جبل أحد بين سلح ووادي القناة ، لذا فان يثرب عندما اتسعت بعد هجرة الرسول محمد ﷺ اليها واتصلت ببقية القرى ووجدوا ان من الافضل الا يغلب اسم احدى هذه القرى على الاخرى فاطلق عليها اسم المدينة ، لانه اسم جامع موحد وهو يلتقي مع روح العهد الجديد وتوجهاته .

موقع يثرب:

تقع مدينة يثرب شمال مدينة مكة المكرمة وتبعد عنها حوالي (٣٠٠) ميل – اي ما يعادل (٤٩٥) كيلومتر– ، وقد وصفت بانها واحة خصبة التربة غزيرة المياه ولها اربعة اودية رئيسية وادي (**العقيق**) وادي (**بُطْحَانَ**) وادي (**قَنَاةُ**) ووادي (**رانُوناءُ**) واودية فرعية اهمها وادي (**مُذَيْنِبٌ**) وهو شعبة من سيل وادي بطحان ، ووادي (**مَهْزُورٍ**) يصب في وادي قَنَاةَ .

اما ماؤها يأتي وقت الامطار والسيول من جبال بموضع يقال له حرة (بني سليم) على مقدار عشرة فراسخ من المدينة ، وبذلك يكون الماء متوفر في المدينة المنورة وهو غير بعيد عن سطح الارض مما جعل اهلها يمتهنون الزراعة مما جعل اهلها الين عريكة واشرح صدراً من أهل البيت الحرام.

اما مناخها فهو الطف وخير من مناخ مكة المكرمة.

وكان لموقعها اهمية من الناحية التجارية اذ كانت تقع على طريق القوافل التجارية الرابط بين اليمن والشام ، وان(البحر الاحمر) يبعد عنها على ثلاثة ايام ، حيث ساحلها فيه موضع يعرف بـ (الجار) اليه ترسي مراكب البحار والمراكب التي تحمل الطعام من مصر.

وبذلك كانت تصل الى يثرب منتجات الشام واليمن عن طريق القوافل البرية والمراكب البحرية عبر البحر الاحمر ، وقد اشتهرت فيها عدد من الاسواق قبل الاسلام كسوق بني قينقاع ، وسوق زبالة ، وسوق الجسر ، وسوق الصفاصف ، وسوق البطحاء .

سكانها:

يمكن تقسيم سكان يثرب الى قسمين:

القسم الاول: العرب

يذكر اهل الاخبار ان اقدم من سكن يثرب قوم يقال لهم (صعل) (فالج) فغزاهم النبي داود عليه السلام واخذ منهم الاسرى وهلك اكثرهم ، وسكنها (العماليق) فارسل عليهم النبي موسى عليه السلام جيشا انتصر عليهم وعلى من كان ساكنا منهم بـ (تيماء) وقتلوهم وكان ذلك في عهد ملكهم الارقم بن ابي الارقم ، وسكن اليهود في موضعهم ، ثم نزل على اليهود بعض قبائل العرب فكانوا معهم ومن هؤلاء بنو انيف وبنو مرشد وبنو معاوية بن الحارث وبنو الجدماء واتخذوا المنازل والاطام يتحصنون فيها ، ثم قدم عليهم الاوس والخزرج من اليمن بعد سيل العرم ، وهؤلاء ينسبون الى حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقياء ، وكان اليهود هم الغالبون على يثرب فكانوا اصحاب اموال وبساتين واصحاب سلطة وسطوة ، فتحالف معهم الاوس والخزرج ، فسكن الاوس جنوب وشرق يثرب ، اما الخزرج سكنوا في الشمال الغربي من يثرب .

ويشير د. رشيد الجميلي ان السبب الذي جعل اليهود يوافقون على السماح للاوس والخزرج بمجاورتهم يعود الى:

١- رغبة اليهود في ضمان سيادتهم على يثرب .
٢- لاستخدام حلفاؤهم من الاوس والخزرج في الدفاع عن يثرب .
٣- والاستفادة من خبرات الاوس والخزرج في المجال الزراعي والتجاري .

استمر حلف الاوس والخزرج مع اليهود الى ان اثري الاوس والخزرج وصار لهم اموال، مما جعل اليهود يعملون على نقض الحلف لانهم حسوا بخطر يهدد مصالحهم ومستقبلهم بسبب تزايد قوة العرب ، فاستبدوا على الاوس والخزرج وكان ملك اليهود (الفيطون) وكان رجلاً شديداً فظاً يعتدي على نساء الاوس والخزرج فنبرى له سيد الخزرج (مالك بن العجلان) فقتله ، فخرج سيد الخزرج مالك حتى وصل الشام فنزل على (جبلة الغساني) يستنصره على اليهود فأرسله على سادة ووجهاء اليهود للقاء جبلة الغساني ، فصنع لهم

جبلة الغساني طعاماً فلما قدموا ابادهم جميعاً وبذلك اصبح للاوس والخزرج الغلبة على يثرب ، وبذلك يقول شاعرهم:

وقد نزلت منا خزاعة منزلاً كريماً لدى البيت المستر

وفي يثرب منا قبائل ان دعوا اتوا سريا من دارعين وحسر

هم طردوا عنا اليهود فاصبحوا على معزل منها بساحة خيبر

القسم الثاني: اليهود

الطائف:

موقعها الجغرافي:

وهي احدى مدن الحجاز المهمة ، تقع الى الجنوب الشرقي من مكة المكرمة، وتمتاز بمناخ بارد شتاءاً ومعتدل صيفا مما جعلها مصيفا لاهل مكة المكرمة ، وذلك لغناها بالمياه العذبة وتربتها الخصبة وبساتينها وحدائقها التي تفيض بالفواكه والثمار، وقد وصفوها (بأنها شامية الهواء باردة الماء) .

تسميتها:

يزعم اهل الاخبار ان الطائف سميت طائفاً لانها تحاط بجدار بناه رجل يقال له (الدمون بن عبد الملك) اذ ان هذا الرجل قتل ابن عم له وهرب الى بني مسعود بن متعب الثقفي ومعه مال كثير فطلب منهم الزواج وان يزوجهم بناته واعرض عليهم ان يبني لهم سور حتى لا يصل اليهم أحد من العرب ، فوافقوا فبنى بذلك المار سورا فسميت الطائف ؛ أما قبل ذلك فكانت تسمى وج نسبة الى احد رؤسائها من العماليق، وقد بقى اسم وج يطلق موضع في الطائف يقع على الوادي يقال له (برد) في العصر العباسي ، حيث اقامت فيه زبيدة زوجة هارون الرشيد حائطين يقال لهما (وج) .

نالت الطائف اهمية في الغنى والازدهار لانشغال اهلها بالزراعة والتجارة حتى اصبحت تضاهي مكة المكرمة ، فكان يطلق عليها (المكتين) او (القريتين) اذ ورد ذكرها في القرآن الكريم **{وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ}** [سورة الزخرف: الآية: ٣١] ويقصدون بالرجل العظيم أحد الاثنين (الوليد بن المغيرة) من مكة ، او (عروة بن مسعود الثقفي) من الطائف.

سكان الطائف:

كان اغلب سكان الطائف من ثقيف ويرجع نسبهم الى قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور ، وقد روي ان (قسي) كان (ثقيفا) الا انه دعي قسي واشتهر به حتى غلب على اسمه الحقيقي ، لان قسا على رجل فقتله فسمي قيساً ، قال شاعرهم:

نحن قسي قسى ابونا

الا ان هناك رواية مفادها ان قسي هو الاسم الاصلي له ، وقد اطلق عليه وصف ثقيف ، وذلك لان قسي حين قدم الى الطائف جلب معه عيدان من اشجار العنب فزرعها ولم يكونوا اهل الطائف يعرفون العنب ، وكان قسي تزوج ابنة سيد الطائف في ذلك الحين (عامر بن الضرب العدواني) ، فقال عنه اهل الطائف قاتله الله ما ثقفه ، حين ثقف عامراً حتى أمنه وزوجه وانبت تلك القضبان حتى اطعمت فسمي ثقيفا منذ ذلك الحين .

وكان يسكن الى جانب ثقيف جماعة من حمير من ازد سراة ، وقوم من قريش من كنانة وعذرة ، كما سكنها جماعة هوازن وقبائل هذيل ، ويذكر ان فيها يهود طردوا من اليمن ومن يثرب فقدموا الى الطائف وسكنوا فيها ودفعوا الجزية لساداتها .

الحياة الاقتصادية:

تعد الطائف المدينة الثانية من مدن الحجاز من حيث الاهمية الاقتصادية اشتهرت بالزراعة كزراعة العنب ، وبعض الحرف كتربية النحل وانتاج العسل والتجارة كتجارة الزبيب والحنطة والعسل والعطر والاديم التي تصدر الى مكة المكرمة كل يوم .